١

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرل للتنمية والدراسات الإسلامية

الفعل الاجتماعي بين الاخلاق الدينية والقوانين الوضعية

الدكتور محمد ابو النواعير

1444هـ - 2023م

(الفعل الاجتماعي بين الأخلاق الدينية والقوانين الوضعية)

ملخص محاضرة القاها الدكتور محمد أبو النواعير على مجموعة من المحامين في مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية في النجف الاشرف تطرق فيها الى:

السلوك الاجتماعي الذي يقوم به الفرد النابع من ذاته الشخصية من خلال انفعالاته الخاصة أي أنه سلوك فردي يتعلق بالفرد.

والفعل الاجتماعي هو المرحلة اللاحقة التي تأتي بعد السلوك الفردي وهو الإطار الذي يجمع كل أنواع السلوك الفردي ويصيغها في بوتقة واحدة تسمى الفعل الاجتماعي.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واله الطيبين الطاهرين

يسعدني ويشرفني أن أساهم بهذا المجهود البسيط في هذه المؤسسة والصرح العلمي والديني الذي اسس له سماحة الامام الحكيم رضوان الله تعالى عليه ليكون أحد الحلقات التي تساهم في صناعة الفرد الواعي الملتزم بأخلاقه الدينية أسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان.

ويشرفني ويسعدني أيضاً أن ألتقي بهذه النخبة الطيبة من الشباب الواعي من شباب العراق الذي يتميز بوعي وفطنة كبيرة كما شهد الكثير من علماء الاجتماع بهذه المسألة، أتشرف أن أكون اليوم بين يديكم لإلقاء محاضرة وبما أنكم قد أكملتم الدراسة الأكاديمية فهي ليست محاضرة بالأحرى ستكون محاورة لأنكم تخطيتم مرحلة التلقي في التعليم وجاء دوركم في رفد المنظومة الاجتماعية والفكرية والقانونية بأفكاركم وخبراتكم الشخصية إن شاء الله وأتمنى لكم التوفيق.

عنوان المحاضرة (الفعل الاجتماعي بين الأخلاق الدينية والقوانين الوضعية) في قسم القانون هل يتم تدريس المادة القانونية بحذافيرها فقط؟ ام يدرس الطالب في كلية القانون آليات تأثير المادة القانونية على السلوك الاجتماعي للفرد وعلى الفعل الاجتماعي للمجموعة الاجتماعية؟

قد يسأل السائل ما الفرق بين السلوك الاجتماعي وبين الفعل الاجتماعي

السلوك الاجتماعي بحسب تنظيرات علماء النفس وعلماء الاجتماع: هو السلوك الذي يقوم به الفرد النابع من ذاته الشخصية من خلال انفعالاته الخاصة أي أن السلوك الاجتماعي هو سلوك فردي يتعلق بالفرد.

أما الفعل الاجتماعي: هو المرحلة اللاحقة التي تأتي بعد السلوك الفردي وهو الإطار الذي يجمع كل أنواع السلوك الفردي ويصيغها في بوتقة واحدة تسمى الفعل الاجتماعي هذا

الفعل الاجتماعي هو طريقة سلوك أو طريقة توافق الفرد مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها يعني الآن أنا تارة عندي سلوك فردي أحلل واقوم أقعد أنظر أمشي أتعصب أهدأ، وأخرى عندي فعل اجتماعي الفعل الاجتماعي لازم أراعي بتوافق سلوكي مع سلوك المجموعة مع موافقة المجموعة الاجتماعية. طبعاً ممكن أن نقول هذا جانب جوانب المنظومة الاجتماعية الثابتة.

المشكلة والتي ستواجهونها من خلال عملكم بالمحاماة قضية تذبذب القيم اختلاف الفعل الاجتماعي عدم وجود قيم ثابتة أو محاولة زعزت القيم الثابتة للمجتمع وهذا هو نوع من انواع الغزو.

هذا الغزو قد بدأت بوادره عندنا ويعمل على تفتيت صلابة المنظومة الاجتماعية يعمل على تحويل المجتمع الذي هو كتلة متراصة بقيم وعادات وتقاليد وثوابت الى مجموعة أفراد يسهل قيادتهم بمنظومة قانونية يضعها الفكر الليبرالي، اذن ستنتهي المجموعة الاجتماعية، قد تكون الأسرة قد تكون العشيرة قد تكون المنظومة الدينية هذه كلها ستتفتت لصالح الفرد.

أنتم تعلمون أن الفكر الغربي الليبرالي الحديث يحاول أنه يجعل من الفرد كشخص له القيمة العليا ليحل بمكان الإله يعني أنت فرد أنت الإله أنت الله ولا يوجد شيء اسمه الله هذا هو نوع من أنواع المحاولات الخبيثة من أجل السيطرة على هذا الفرد.

قد يسأل السائل كيف تتم السيطرة على الفرد؟

بهذه المنظومة الليبرالية الغربية يحاول أن يسحبك من معتقداتك يسحبك من الثوابت الأخلاقية يسحبك من الأعراف الاجتماعية التي تضبط سلوكك، فهو يمثل السلطة وانت لا تمثل شيء يستخدم امكاناته المادية والعسكرية الإعلامية الاقتصادية الصناعية التكنولوجية هذه الإمكانات تساعده على أن يتسلط عليك وعلى وعيك يحاول أن يتلاعب بوعيك حتى يصدر منك سلوك فردي بالبداية ويقود المجموع إلى سلوك اجتماعي بما هو يريده.

لما نرجع إلى حضارة اليابان وقد كانت عندهم أعراف وتقاليد اجتماعية وعرفية اقوى بكثير من التقاليد عندنا، كانوا يستندون إلى مرتكز هذا المرتكز يمثل البنية التحتية أو يمثل البناء الداخلي العميق الذي يثبت العادات والثقافة الاجتماعية الصحيحة ألا وهو الدين وهو البوذية والتي هي عبارة عن تعاليم بشرية دنيوية لا علاقة لها بالجانب الروحي لذلك استطاع الفكر الليبرالي أن يحطم الحضارة اليابانية وتشاهدونه من خلال الأفلام وكما تعلمون الفيلم ينقل صورة واقع مجتمع تلاحظون الأفلام اليابانية وكيف أن المجتمع الياباني انهارت أخلاقه بشكل غير طبيعي لأنه مع رصانة الأعراف الاجتماعية التي كانت عندهم الا انها لم تكن تحتوي على بنية عميقة ساندة.

بعد بيان الفعل الاجتماعي وتأثيره الان نقول ما هو دور القانون في ترصين وتثبيت الفعل الاجتماعي؟ وهل أن الدين والمنظومة الأخلاقية الدينية لها دور في تثبيت الفعل الاجتماعي الصالح لتخلق الإنسان الصالح أم أنها تكتفي بالقانون؟ طبعا هذا الموضوع اختلفت فيه المدارس كثير من المدارس الغربية والشرقية كثير من منظري الفلسفة القانونية قالوا نحن ليس بحاجة الى الأخلاق، الأخلاق لا تشكل العنصر الأساس في المادة القانونية.

أنا عندي مادة قانونية واريد أن أفعل هذه المادة من خلال الاكراه والالزام والعقوبة وهذه الطريقة تحقق حالة من العدالة والانسجام بالمجتمع.

منظرون آخرون قالوا المادة القانونية ليست موجدة من العدم المادة القانونية مثل مادة الطبيعية لابد أن يكون هناك سبب إيجاد المادة القانونية وسبب إيجاد المادة القانونية هي أعراف اجتماعية قديمة جدا تراكمت بالوعي المجتمعي وشكلت ثوابت استثمرها فقهاء القانون في صنع المادة القانونية ومن ضمن هذه الثوابت الاجتماعية هي الثوابت الأخلاقية يعني مثلاً لما تجد أمرا "لا تقتل" هذا كلمة هي عبارة أخلاقية ولكن فقيه القانون استغلها أو استثمارها وصنع منها قاعدة قانونية أنه يمنع القتل.

إذاً عندنا مدرستين: مدرسة تدعو أن المادة القانونية هي مادة مشتقة من الواقع ولا علاقة لها بأخلاق الإنسان أو بالمنظومة الأخلاقية والدينية باعتبار أنه أصحاب هذه

المدرسة يقولون إنه المادة الأخلاقية أو العرف الأخلاقي السلوك الأخلاقي هو سلوك يتعلق بالفرد يتعلق بمشاعره ووجدانه ولا يتعلق بالواقع، القضية الأخلاقية هي موضوع مثالي. ما هو رأيكم من بعد هذه المقدمة والمدخل هل المادة القانونية؟ تحل مشاكل الواقع فقط أم أن لها جذور أخلاقية ودينية تقف وتتأسس عليها طبعا أنا أسأل هذا السؤال لأني أعتبركم دارسين للقانون.

المشكلة اعرضها على جنابكم كباحث يعرض على زملاء باحثين

هناك مشكلة مهمة جداً ستواجهكم في عملكم لابد أن تفهموها:

ذكرت في المقدمة أن الفعل الاجتماعي هو الفعل الذي يتأسس من خلال ثقافة المجتمع أو هذا الفعل الاجتماعي السلوك الاجتماعي عند الأفراد في المجتمع هذا ممن يتكون؟ هل أنه جاء اعتباطيا؟ يعني سلوك الفرد في الشارع هل هو من متبنياته او هو وليد اللحظة؟

كل مدارس علم الاجتماع سواء القديمة او الحديثة المعاصرة تقول إن الفعل الاجتماعي بل وحتى السلوك الفردي هذا يأتي عبر منظومة نحت دقيقة تمارس بها الأسرة تأثيراتها وتمارس المجتمع وتمارس المدرسة ويمارس الدين ويمارس الحالة الاقتصادية كل هذه العوامل تمارس دور فعال في صياغة الفعل الاجتماعي. لمَا تحدث امامك حادثة وتتفاعل معها شعوريا ستخرج ما عندك من خزين تاريخي تربية تعليم مواقف حزن فرح صدمة كل هذا يثار في نفسك ويقودك إلى أن تسلك سلوك معين هذا السلوك المعين من أين أتى؟ أتى من خلال هذه العوامل الكثيرة العوامل الاجتماعية التربوية الدينية السياسية الاقتصادية العاطفية كلها تعمل على خلق السلوك الاجتماعي عندك.

حينها سيقودك هذا الموضوع حين تنفذ المادة القانونية إذا كانت هجينة وغريبة عن هذه المنظومة التي تصدر الفعل الاجتماعي التي تكلمنا عنها التي هي تخلق الفعل الاجتماعي، إذا كانت المادة القانونية غريبة وهجينة فهل تستطيع ان تطبق هذه المادة القانونية على

مجتمع لم يتآلف مع هذه المادة؟ يعني أنا الآن عندي مادة قانونية من القانون الفرنسي لا علاقة لها بذوقنا المجتمعي ولا الديني والعرفي والأخلاقي هنا فهل سيتفاعل المجتمع مع هذه المادة أولا؟ نعم انت كقانوني عندك أداة إلزام وعقوبة وسجن لكن مجتمع كامل رافض لهذه المادة، الرفض قد يكون غير علني يعني الرفض داخلي. فهل تستطيع ان تنفذ هذه المادة؟

نعم بشكل ظاهر تستطيع تنفيذها ولكن بمجرد أن تزيل هذا المؤثر بمجرد أن يغفل القاضي قليلا وبمجرد أن يحسب حساب للعلاقات تنهار هذه المادة وتقع إذن من خلال هذه المشكلة التي صارت بين المدرستين المدرسة تقول إن الأخلاق والدين لهم دور أساسي في صنع المادة القانونية ومدرسة تقول المادة القانونية نستقيها من الواقع من مشاكل الناس، يجلس فقهاء القانون ويضعون حل لهذه المشاكل وتخلص المسألة.

ثبت لدينا الآن من خلال هذه المدارس الاجتماعية ان القضية ليست ظاهرية وانما تتعلق بجوهر بكينونة الإنسان بشخصية الفرد شخصيته الاعتبارية كجزء من المجتمع لذا تعتبر المادة القانونية التي تستند على الأساس أخلاقي وديني هي مادة أكثر قابلية للتطبيق ولها وقع أكثر في نفوس الناس. تخيل أن القاعدة الدينية ليست بالشيء الهين القاعدة الدينية إذا أسيئ استغلالها ممكن أن تجعل الفرد يقتل نفسه بدليل أن الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم هل لديهم عقول؟ نعم يملكون الا انهم ساءوا استخدام المادة القانونية وجعل المتنفذين في هذا الأمر يتمكنون من السيطرة على سلوك وفعل الأفراد بطريقة أنهم يطلبون منهم يفجرون أنفسهم.

إذن أنا عندي قاعدة مهمة جداً لازم أستغلها في تطبيق القانون ألا وهي البحث عن الأسس والكوامن الاجتماعية العميقة التي تمثل الأخلاق الدينية جزء كبير منها يجب أن أبحث عن هذه العوامل عند محاولة تطبيق القانون نعم جاءت تسميات حديثة أرادوا ان يعزلون الدين عنها فقالوا انه بحسب الحالة الإنسانية.

اذاً هو عملية رجوع للأخلاق والدين يعني يضطر القضاء انه يستند على الدين من أجل الوصول الى أنقى وأصفى قاعدة قانونية.

واحدة من المشاكل التي تواجه الفكر القانوني والفلسفة القانونية مشكلة تعارض القانون مع الحريات الشخصية القانون هو عبارة عن حوادث تمنع الفرد من أنه يتصرف بحريته طبعاً هذه واحدة من المشاكل الكبيرة جداً في الفكر الفلسفي ... المشكلة أنه كيف يستطيع القانون بالأخص في الفكر الليبرالي الغربي الذي يدعوا لتقديس الحريات الشخصية التي تجعله يقودها ويقفون ما بين الحرية التي هم يدعون لها وما بين الالتزام القانوني، هذه واحدة من المشاكل التي تواجه القوانين الوضعية والتي يستطيع رجل القانون أن يجد لها حلا كبيرا في المنظومة الأخلاقية. أن المنظومة الأخلاقية الدينية تجعلني فردا طبعا إذا أحسن استعمال المنظومة الأخلاقية الدينية يعني أنا أتحدث الآن عن حالة مثالية نتمنى ان نصل اليها وهي انه انسان إذا عنده رادع وتربية دينية راح يصدر منه الفعل القانوني من ذاته ولذلك عندما يريد أحدكم أن يتزوج يسأل عن عائلة البنت، لماذا تسأل عن عائلتها؟ لأنك تبحث عن منابع سلوك البنت تأسيس سلوكها الاجتماعي التي استقته من الأسرة. تبحث عن أسرتها واخلاقها وتدينها.

لذا لابد أن يتوافق رجل القانون مع رجل الدين من أجل اصلاح السلوك الكامل للمجتمع. هذا نقطة جداً مهمة والكثير من المدارس الغربية الحديثة بعد عام ٢٠٠٨م بدأوا يعيدون نظام الدين الى التطبيق القانوني يعني من خلال توظيف الدين يستطيع ان يخلق فردا صالحا يحترم القانون.

لما تعمل بالقانون لابد ان تحسب حساب القاعدة القانونية التي تعمل عليها ولابد ان تحسب حساب الجذور الأخلاقية الدينية.

والحمد لله رب العالمين